*تقدير آجال الخلائق، وتفسير كلمة "لا حول ولا قوة إلا بالله"*

*بحث في التفسير الموضوعي*

**إعداد أ/ عادل محمد فتحي**

*قسم الدعوة وأصول الدين*

*كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية*

*شاه علم – ماليزيا*

*adel.mater@mediu.edu.my*

**خلاصة -- هذا البحث يبحث في تقدير آجال الخلائق، وتفسير كلمة "لا حول ولا قوة إلا بالله"**

**الكلمات المفتاحية : قدر آجال الخلائق ، السبب المحظور ، القتل**

1. **المقدمة**

 **الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، سوف نتحدث في هذا المقال عن تقدير آجال الخلائق، وتفسير كلمة "لا حول ولا قوة إلا بالله**

1. **عنوان المقال**

**الله  قدر آجال الخلائق، بحيث إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون:**

**قال تعالى:** {ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ} **[يونس: 49] وقال تعالى:** {ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ} **[آل عمران: 145] وفي (صحيح مسلم) عن عبد الله مسعود قال: ((قالت أم حبيبة زوج النبي : اللهم أمتعني بزوجي رسول الله وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية، قال: فقال النبي : قد سألتِ الله لآجال مضروبة، وأيام معدودة، وأرزاق مقسومة، لن يعجل شيئًا قبل حله، ولن يؤخر شيئًا عن حله، ولو كنتِ سألت اللهَ أن يعيذك من عذاب في النار وعذاب في القبر كان خيرًا وأفضلَ)) الحديث في مسلم في القدر، باب بيان أن الآجال والأرزاق لا تزيد ولا تنقص عما سبق به القدر.**

**فالمقتول ميت بأجله، فعلم الله تعالى وقدر وقضى أن هذا يموت بسبب المرض، وهذا بسبب القتل، وهذا بسبب الهدم، وهذا بالحرق، وهذا بالغرق، إلى غير ذلك من الأسباب، والله سبحانه خلق الموت والحياة، وخلق سبب الموت والحياة.**

**وعند المعتزلة المقتول مقطوع عليه أجله، ولو لم يقتل لعاش إلى أجله فكان له أجلان.**

**وهذا باطل؛ لأنه لا يليق أن ينسب إلى الله تعالى أنه جعل له أجلًا يعلم أنه لا يعيش إليه ألبتة، أو يجعل أجله أحد الأمرين، كفعل الجاهل بالعواقب، ووجوب القصاص والضمان على القاتل، لارتكابه المنهي عنه ومباشرته السبب المحظور.**

**وعلى هذا يخرج قوله : ((صلة الرحم تزيد في العمر)) أي: هي سبب طول العمر، وقد قدر الله أن هذا يصل رحمه، فيعيش بهذا السبب إلى هذه الغاية، ولولا ذلك السبب لم يصل إلى هذه الغاية، ولكن قدر هذا السبب وقضاه، وكذلك قدر أن هذا يقطع رحمه فيعيش إلى كذا كما حدث ذلك عند الحديث في القتل وعدمه.**

**فإن قيل: هل يلزم من تأثير صلة الرحم في زيادة العمر ونقصانه تأثير الدعاء في ذلك أم لا؟**

**الجواب: أن ذلك غير لازم لقوله  لأم حبيبة <: ((قد سألت الله تعالى لآجال مضروبة)) الحديث.**

**فعلم أن الأعمار مقدرة لم يشرع الدعاء بتغييرها بخلاف النجاة من عذاب الآخرة، فإن الدعاء مشروع له، نافع فيه، ألا ترى أن الدعاء بتغيير العمر لما تضمن النفع الأخروي، شرع كما في الدعاء الذي رواه النسائي من حديث عمار بن ياسر > عن النبي  أنه قال: ((اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق، أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي)) حديث صحيح، أخرجه النسائي.**

**ويؤيد هذا ما رواه الحاكم في صحيحه من حديث ثوبان > عن النبي : ((لا يرد القدر إلا الدعاءُ، ولا يزيد في العمر إلا البِر، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه)) أخرجه أحمد في (المسند).**

**وفي الحديث رد على من يظن أن النذر سبب في دفع البلاء وحصول النعماء، وقد ثبت في الصحيحين عن النبي  أنه نهى عن النذر وقال: ((إنه لا يأتي بخير، وإنما يستخرج به من البخيل)). أخرجه البخاري.**

**والدعاء يكون مشروعًا نافعًا في بعض الأشياء دون بعض، وكذلك هو، ولهذا لا يحب الله المعتدين في الدعاء، وكان الإمام أحمد -رحمه الله- يكره أن يُدعى له بطول العمر، ويقول: هذا أمر قد فرغ منه.**

**وأما قوله تعالى:** { ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ} **[فاطر: 11] فقد قيل في الضمير المذكور في قوله تعالى:** {ﰔ ﰕ} **إنه بمنزلة قولهم: عندي درهم ونصفه؛ أي: ونصف درهم آخر، فيكون المعنى: ولا ينقص من عمر معمر آخر.**

**وقيل: الزيادة والنقصان في الصحف التي في أيدي الملائكة، وحمل قوله تعالى:** { ﮰ ﮱ ﯓ} **[الرعد: 38- 39] على أن المحو والإثبات من الصحف التي في أيدي الملائكة، وأن قوله:** {ﯛ ﯜ ﯝ} **اللوح المحفوظ.**

**ويدل على هذا الوجه سياق الآية، وهو قوله:** { ﮰ ﮱ ﯓ} **ثم قال:** {ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ} **أي: من ذلك الكتاب:** {ﯛ ﯜ ﯝ} **أي: أصله، وهو اللوح المحفوظ، وقيل: يمحو الله ما يشاء من الشرائع وينسخه، ويثبت ما يشاء فلا ينسخه، والسياق أدل على هذا الوجه من الوجه الأول، وهو قوله تعالى:** {ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ} **[الرعد: 38] فأخبر تعالى أن الرسول لا يأتي بالآيات من قبل نفسه، بل من عند الله، ثم قال:** {ﮰ ﮱ ﯓ ﯔﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ} **[الرعد: 38- 39].**

**أي: أن الشرائع لها أجل وغاية تنتهي إليها ثم تنسخ بالشريعة الأخرى، فينسخ الله ما يشاء من الشرائع عند انقضاء الأجل، ويثبت ما يشاء، وفي الآية أقوال أخرى، والله أعلم بالصواب.**

**نأتي بعد ذلك إلى تفسير كلمة: "لا حول ولا قوة إلا بالله":**

**هذا دليل على إثبات القدر، فالله  لا يكلف العباد إلا ما يطيقون، ولا يطيقون إلا ما كلفهم، والله  يعلم أن عباده يطيقون فوق ما كلفهم، لكنه سبحانه يريد بعباده اليسرَ والتخفيفَ، كما قال تعالى:** {ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ} **[البقرة: 185] قال تعالى:** {ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ} **[النساء: 28].**

**وقال تعالى:** {ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ} **[الحج: 78] فلو زاد فيما كلفنا به لأطقناه، لكنه تفضل علينا ورحمنا وخفف عنا، ولم يجعل علينا في الدين من حرج، والله  أجرى كل شيء في كونه بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره، يريد بقضائه القضاء الكوني لا الشرعي، فإن القضاء يكون كونيًّا وشرعيًّا.**

**فالقضاء الكوني ففي قوله تعالى:** {ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ} **[فصلت: 12] والقضاء الديني الشرعي، وذلك في قوله تعالى:** {ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ} **[الإسراء: 23] وكذلك الإرادة قد تكون كونية ودينية -وهذه قد سبق ذكرها- والأمر أيضًا يكون كونيًّا، ويكون شرعيًّا، فالأمر الكوني ففي قوله تعالى:** {ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ} **[يس: 82] وكذا قوله تعالى:** {ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ} **[الإسراء: 16] والأمر الشرعي ففي قوله تعالى:** {ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ} **[النحل: 90] وقوله:** {ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ} **[النساء: 58].**

**المراجع والمصادر**

1. **عبد الستار فتح الله سعيد، التفسير الموضوعي ، مطبعة مكتبة الدعوة، 1987م.**
2. **محمد السيد الكومي، التفسير الموضوعي مطبعة الأزهرية، 1967م.**
3. **ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية ،بيروت، المكتب الإسلامي، 1391هـ.**
4. **أبو عبد الله بن أحمد الأنصاري القرطبي، تفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ،دار الكتاب العربي، 2004م.**
5. **محمد علي الفقي،فقه المعاملات: دراسة مقارنة ،مجموعة النيل العربية، 2000م.**
6. **مُوفَّق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الجمّاعيلي الدّمشقي الصالحي الحنبلي،المغني ،1999م.**
7. **أبو بكر بن العربي، أحكام القرآن ،تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، 1996م.**
8. **أبو بكر أحمد الجصاص، أحكام القرآنبيروت، دار الكتب العلمية، 1993م.**
9. **محمد الأمين الشِّنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، بيروت، دار الفكر، 1415هـ.**
10. **عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي, تفسير القرآن العظيم ، دار الراية للنشر والتوزيع، 1993م.**
11. **أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بـالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن ،دار المعرفة للطباعة والنشر، 1999م.**
12. **عمر عبد العزيز المترك، الربا والمعاملات المعاصرة، دار العاصمة، 1417هـ.**
13. **عباس محمود العقاد، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ،مصر، دار نهضة، 1957م.**
14. **الشَّريف حمدان راجح الهجاري، قواعد الدعوة الإسلامية القاهرة، مطابع ابن تيمية، 1413هـ.**
15. **محمد ربيع المدخلي،منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل،المطبعة السلفية، 1993م.**